



## عبد السلام بن عبد العالبي النص المتعدّد

### خليك صويلح

يشتغل المفكر المغربي عبد السلام بن عبد العالبي (مواليد سلا، 1945) في حقل فلسفي ونقدي شديد الوعورة والاختلاف. لكن لفرط ترويضه التربة وتقليبها بسكة محرات حادة، يضعنا أمام بلاغة مضادة ومبهرة، تسحب معجم الفلسفة إلى سجادة اليومي، بمناوشة مفردات الراهن، خصوصاً ما يتعلّق بأسئلة الكتابة وموقع القارئ منها، بالإضافة إلى وسائل التواصل وتأثيرها في ممارسات الفرد وخضوعه لمتطلباتها. فنحن في حقبة الفرجة والثقافة الشعبية ومنظومة القيم الاستهلاكية التي أطاحت الدسم الفكري لمصلحة الحساء المغشوش. هكذا يضع الهاتف النقال والهمبرغر وموسيقى البوب ومباريات كرة القدم والتلفزيون ووسائل التواصل في مرجل واحد، مستخلصاً كيميائاً سحرية في تفسير آثام الكوكب واحتضاراته وعنفه. في كتابه الجديد «النص المتعدّد» (دار توبقال)، يستكمل صاحب «الفلسفة فنّاً للعيش» تأملاته الفلسفية وشذراته النقدية، مستبعداً عذرية هذا النص أو ذاك، فهو «استنساخ لامتناه

لما قد كُتِبَ ولما لا يفتأ يُكْتَبُ». على هذا المنوال، يتتبع في إحدى محطاته تاريخ الترجمة العربية بوصفها استنساخات متوالدة وخيانة مضاعفة، لأنها «لا تنقل النص وتترجمه عن لغته الأصلية، وإنما تُترجم ما ترجم عنه، تترجم ترجماته وتنسخ نسخه»، ليس في حقل الفلسفة وحده، وإنما في الأدب واللسانيات. وتالياً نحن إزاء نصّ يكون حياً في لغة، وميتاً في أخرى «فسواء انطلقنا مما ندعوه نصاً أصلياً، أو من نصّ مترجم يتكلم لغة غير لغته، فإننا لا نكون قط أمام أصل وفروع، نموذج ونسخ، درجة أولى ودرجة ثانية. إننا لا نكون إلا أمام لحظة من لحظات الاستنساخ اللامتناهية». امتياز عبد السلام بن عبد العالبي إذاً، يكمن في روحه الابتكارية ومشاكساته النقدية وانهماكه في تعزيز حضور القارئ بوصفه «خزانة نصوص» في المقام الأول، بالتوازي مع فحص «سيميولوجيا الحياة اليومية» بعين ثاقبة وكشوفات خلّاقة. هكذا سيصدمنا مراراً بذهنيته المفارقة للأسئلة الجاهزة، ما يُصعب تصنيف كتاباته وتأثيرها في فضاء ضيق، كما في «الكتابة بيدين»، و«ثقافة الأذن وثقافة العين»، و«جرح

الكائن»، و«منطق الخلل» ثمّ كتابه ما قبل الأخير «القراءة رافعة رأسها». هنا يمنح القارئ سلطة استثنائية تطيح المؤلف وكتابه، إذ يتحرّر منهما بنوعين من القراءة، قراءة منفصلة ترتبط بالنص بحثاً عن المعنى والإمساك به متلبساً، أو قراءة حية ترمي إلى ما لم يُكْتَبَ أو ما لا يُفكر به «تقدّم الكتابة نفسها مقروءة مُؤوِّلة، فكأنما لا وجود لدرجة صفر في القراءة» يقول. ثمّ يطالبنا بالألا نكتفي أثناء القراءة بتحريك رؤوسنا يمناً ويسرة، إنما تحريك رؤوسنا إلى الأعلى بقوة الموسوعة الشخصية التي نخترناها من قراءات سابقة ومتراكمة، من دون التفكير في الخضوع للنصّ، داعياً إلى استراتيجيات جديدة للقراءة، وتقويض المسلمات القديمة في تلقي. من ضفة أخرى، ينتظر صدور كتابه «لا أملك المسافات التي تُبعديني» (منشورات المتوسط) معوّلاً فيه على أهمية الاقتباسات في شحن طبقات النصّ، وأحوال المسوّدة باعتبارها كائناتاً جيولوجياً متعدّداً الأبعاد. هذا فيلسوف عاين عن كُتُب «اهتزازات الحياة المعاصرة» بأكبر قدر من الكثافة والتنوّع والتهجين.